حيثيات في قضية الشعر

نحو صفٍّ ثالثٍ !.

بقلم نجيب سرور

كانت هناك أخطاء ..

وكانت الحاجة ماسة الى تصحيح ..

ولقد قلت في غير هذا المكان (١) « **اننا في حاجة ماسة الى مراجعة ميزانيتنا النقدية والابداعية في السنوات الاخيرة واعادة النظر فيما نصدر عنه الان من أسس في النقد وفي الابداع** » .. ففي واقعنا الان نوع من الكهانة يفرض علينا معايير نقدية تضغط على أدبنا وتصيبه بأمراض شتى في الشكل والمضمون . « ومن سوء حظنا أننا كنا ـ وما زلنا ـ نمر بمرحلة تاريخية قلقة ارتبطت فيها هذه المعايير باتجاه سياسي معين ، ورسخ في الاذهان أن معارضة هذه المعايير ضرب من التنكر للاتجاه .. وأن مراجعتها ضرب من السقوط في الرجعية .. وأن مناقشتها ضرب من الكفر والعياذ بالله .. فكان أن أصبحت أخطاء المتجهين ـ من النقاد ـ معالم للاتجاه كما أصبحت ارادة الكهنة طريقا الى ملكوت السموات » (٢) .. ولكن الاتجاه لا يرفض شيئا بقدر ما يرفض الكهانة والكهان ، ولا يتسع لشيء بقدر ما يتسع للنقد والمراجعة ولا يصر على شيء بقدر ما يصر ألا تصبح الثقافة ـ ابداعا ونقدا ـ ظاهرة سكونية تكرر نفسها في حالة « محلك سر!! » .. **وحين يصل النقد والابداع الى مثل هذه الحال تحت ضغط فئة من الكهان فمعنى هذا ببساطة وبمنطق الاتجاه المظلوم ان مرحلة من مراحل المسار الثقافي قد آذنت بالانتهاء وأن شيئا ما لا بد أن يحدث .. شيئا يحل الحركة محل السكون ، والجريان محل الجمود ، والتجرد محل التكرار ، والخلق محل الاجترار** .. وحين يصبح النقد عاجزا عن مساوقة الابداع أو ملاحقته أو تطويره أو التطور معه ، فيحاول كلما فوجيء ببادرة من بوادر الحركة أو التغير أن يشد المبدعين بسلاسل يعلوها الصدأ وأن يلوح لهم بتهمة الرجعية أو تفتيت وحدة المثقفين أو النكوص بالمعركة الوطنية وأن يستغل هذا الرعب الساذج للاحتفاظ بالسيطرة على الواقع الثقافي .. **فمعنى هذا ان النقد يتعارض مع جوهر الاتجاه الذي يدعى الوصاية عليه وأن من واجبنا أن ننقذ الاتجاه من الوصاية المتخلفة وأن نلقى ماءنا القذر ونمضي باحثين عن الماء النظيف !!**

(١) أزمة في الشعر الحديث ـ الرسالة الجديدة ـ يوليو سنة ١٩٥٧

(٢) مراجعات في قضية الشعر ـ العالم العربي ـ نوفمبر سنة ١٩٥٧

ولعل مشكلة المشكلات أن اجيالنا التعسة لم تستطع أن تتصل بالمعرفة اتصالا مباشرا في يوم من الايام .. فلقد كان هناك دائما الاوصياء الوسطاء بينها وبين المعرفة . **كان النقاد دائما يلعبون دور الوسطاء .. وكان المبدعون دائما يعيشون على فتات الوسطاء . ولذا كان نمو الابداع محكوما دائما بحدود النقد .**

فاذا تجمد النقد تجمد الابداع وتجمدت حياتنا الثقافية

ففي الربع الاول من القرن العشرين كان هناك الوسطاء الذين أورثوا الجيل ثقافة مريضة وناقصة وعشوائية ... ثقافة رسم الاستعمار حدودها وخصائصها ووطدت لها اجهزته ودواليبه .. ثقافة هي جماع الجوانب السيئة والمعتمة والسلبية والورائية من التراث العربي والتراث العالمي.. وكان نيتشه وشوبنهور وجوستاف لوبون وتوماس هاردي وابن الرومي وابو العلاء والمتنبي واضرابهم .. كانوا المحاور التي تدور حولها ثقافتنا حين ذاك والمناظير التي ترصد بها ظواهر المجتمع المصري ومشكلاته ... **وباختصار كانت ثقافة انفصالية تستلهم الكتب ولا تحتك بالواقع المصري** .. ولعل اروع مثال على هذه الانفصالية مقال لزعيم الجيل الماضي وعميده عباس محمود العقاد (١) بعنوان «الصبر على الحياة » (٢) يعالج فيه كثرة حوادث الانتحار في الربع الثاني من القرن العشرين عقب تصفية ثورة (١٩١٩). فلقد نسي الاستاذ العقاد الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية الضاغطة على الكيان المصري حين ذاك ومضى يؤرخ للانتحار « فهو داء قديم عرفته الامم الغابرة » ثم تأتي قائمة طويلة باراء فيثاغورس وبيوليس وافلاطون وارسطو ودافيد هيوم وشوبنهور وسنكا وليكي وابيقور والمطران انج الى آخر فهارس الاعلام !!

لا غرو ان يفقد الجيل نفسه وان تغيم لعينيه قضيته وان يتخلف عن الركب الانساني .. ومن داخل العتمة كانت تلتمع بين الحين والحين بعض الشموع ثم تخنقها

(١) قد نختلف على تقييم كتابات الاستاذ العقاد في مجالات العلم والتاريخ والفلسفة والاجتماع ولكني اعتبره قمة من القمم الشوامخ في مجال النقد الادبي . وسوف اوضح فيما بعد الدور الرائع الذي لعبه العقاد في تطوير النقد العربي ، لا طه حسين كما يظن كثيرون . وليت العقاد اقتصر على النقد اذن لظفر ادبنا على يديه بمكاسب طائلة ..

(٢) ساعات بين الكتب ـ بتاريخ ٧ يناير سنة ١٩٢٧

القوى الجبارة التي تفرش السواد ليبقى جيلنا في قحط ثقافي مرير وموئس...

وفي مطلع النصف الثاني من القرن العشرين انبثقت حركة بدائية كان في طليعتها عبد الرحمن الشرقاوي والخميسي وصلاح حافظ وكمال عبد الحليم وغيرهم من ادباء **الصف الاول ... ودعا هذا الصف الى بناء ثقافة وطنية مشرقة تضرب جذورها في صميم الواقع المصري ويتصل فيها الفن بالحياة اتصالا وظيفيا مسئولا .. فالى اي حد نجح هذا الصف ؟ وما حدود الدور الذي لعبه في مسارنا الثقافي ؟**

ثمة عاملان رسما لهذا الصف جدوده :

الاول : أزمة الحرية التي استحال معها التعبير الكامل والمنتظم والآمن عن قضية الثقافة بعد ان ارتبطت في تلك المرحلة ارتباطا وثيقا بالقضية الاجتماعية وبقضية التحرر الوطني ... ويعبر عبد الرحمن الشرقاوي عن هذه الازمة في رسالة وجهها الى طه حسين جاء فيها « وجدناك تلوح لي انا وصاحبي بأشياء لم تكن في موضوع المناقشة وتهمز بقولك (بلاد انت تعرفها) ما هذا يا سيدي الدكتور! احدثك عن مصر فتحدثني عن بلاد انا اعرفها ؟ لقد حاولت ان ارد عليك اذ ذاك أو حتى أن ألقاك ياسيدي فلم استطع لاسباب انت تعرفها « (١) .. !! ثم يلجأ الشرقاوي الى الرمز فيقول : « كان الطقس حارا وكانت الحرارة لا تحتمل والخماسين تملأ كل حلق بالتراب وتختنق الانفاس في حمامها المتوقد ! .. ولقد مسني الضر من هذه الخماسين فاذا بي لا استطيع ان اكتب او القى احدا .. اتراني استطيع الان ان اكتب اليك ؟ ما اظن أن في الامكان ان ارد على مقالك هذا الان واني لارجو مخلصا عندما تخف حدة الحر في مصر ان ارد على مقالك ذاك الرائع من مكاني هذا المتواضع » .. !!

ومع ذلك استطاع هذا الصف ان يلفت النظر الى الهدف المنشود .. بناء ثقافة وطنية .. وان يجمع القراء حول شعار الفن للحياة .. وان يوحي بضرورة احداث تحول في مجرى الثقافة المصرية يعبر عن المخاض الذي كان يمزق مجتمعنا حينذاك ..

وتغيرت الظروف نسبيا وخفت حدة الحر ووطأة الخماسين واتيح للصف الاول نصيب من حرية التعبير .. وكان عليهم بعد هذا أن يعبروا تعبيرا كاملا عن الاتجاه الجديد بأن ينقلوا المعركة من المستوى العاطفي الى مستوى الذهني .. **ذلك لان بناء ثقافة وطنية وتأسيس الواقعية أمران يشترطان وجود فلسفة متكاملة في الوجود الطبيعي والاجتماعي وفي الفن قبل ان يشترطا الحماس والعاطفية.**

فهل فعل ادباء الصف الاول شيئا من هذا ..؟؟

اتضح ان ازمة الحرية ليست وحدها المسؤولة عن حدود هذا الصف وان هناك سببا اخر : فلقد اطلع هؤلاء الرواد على النماذج الطبيعية والواقعية في الادب العالمي الروسي على التخصيص ، وفي القصة والرواية على التحديد . ولعبت الترجمات الشامية دورا كبيرا في ايصال هذه النماذج اليهم فانفعلوا بها .. ولكنهم وقفوا عند مجرد هذا الانفعال ، وشرعوا بعد ذلك في المحاكاة ... صحيح انهم ادباء ذوو طاقات فنية .. **ولكن الحركة كانت في حاجة الى طاقات في مجال الوعي تتسع للواقعية كمذهب ادبي يقف على قاعدة عريضة من فلسفة في الوجود وفي المعرفة وفي الاجتماع وفي الاقتصاد وفي التاريخ وفي الفن .. الى تمثل للتراث القومي والتراث العالمي .. مما لا يتيحه مجرد الانطباع الوجداني بالنماذج الواقعية .. فالواقعية لا تلتمس فقط في النماذج الشعرية والروائية بقدر ما تلتمس في البناء الفلسفي المتكامل الذي تشترطه وتقوم عليه ..**

اذن كانت تنقصهم المعرفة .. كان ينقصهم الوعي .. كان ينقصهم المنهج ..

ولذلك لم يستطيعوا مثلا ان يدركوا اهمية الشكل ولا العلاقة الحية بين الشكل والمضمون ، لان هذه المشكلة لا تشترط العاطفية ولا الحماس بقدر ما تشترط الفهم ... « قمصان الدم » لعبد الرحمن الخميسي وتمثلها في الشعر في قصيدته « عزة والرفاق » :

الشكل ؟ ان الشكل تعبير تفيض الروح منه
انا لا أرى التعبير شيئا غير ما عبرت عنه

وجاء هذا الحكم اعظم تلخيص لحدود الحركة ولامكانيات الصف الاول ... **وهذا هو العامل الثاني الحاسم الذي رسم حدود الصف الاول .. افتقاره الى المنهج .. وعدم استناده الى القاعدة الفلسفية العريضة ...**

ومن الانفعال دون الفهم .. والحماس دون المنهج ... توالت النماذج غير الناضجة تمثلها في القصة مجموعة « قمصان الدم » لعبد الرحمن الخميسي وتمثلها في الشعر « من اب مصري للرئيس ترومان » لعبد الرحمن الشرقاوي **... وتميز نتاج الصف الاول عامة بخصيصتين رئيسيتين :**

الاولى هي التضخم في الرؤية السياسية مما تسبب في ورم جانب من جوانب المضمون على حساب الجوانب الاخرى ..

والثانية هزال الشكل وتهافته ..

واصبحت القصيدة خطبة منظومة والقصة مقالة منبرية .

ولم يكن بين ادباء الصف الاول نقاد يصاحبون هذا النتاج بالغربلة ويؤسسون للواقعية ويوضحون العلاقة الحية بين الشكل والمضمون استنادا الى النظرية العامة في الفن ... **وهكذا لم يكن للصف الاول اثر جذري في واقعنا الثقافي الاعجف وان كان له فضل الدعوة الى الواقعية ... وفضل التنبيه الى الهدف الرائع : بناء ثقافة وطنية .. وبقى جيلنا في قحط ثقافي مرير وموئس ..**

واصبح واقعنا في حاجة الى حركة جديدة : **الى صف ثان ...** وكان على هذا الصف ان يقوم في وقت واحد

---

(١) أعداء الغد !!..

بثلاث وظائف متداخلة يتوقف بعضها على بعض :

الوظيفة الاولى : هي القيام ببعث ثقافي على نطاق واسع يجتث الغابات التي فرشها الاستعمار على ارضنا فحجبت عن القاريء المصري الهواء والضوء .. القيام بانقلاب في طريقة تفكيرنا وفي نظرتنا الى العلاقة بين الفكر والوجود... وذلك عن طريق المنهج العلمي والنظرية العامة ...

والوظيفة الثانية هي : التأسيس للواقعية في ضوء النظرية العامة في الوجود الطبيعي والاجتماعي عامة وفي الادب والفن على التخصيص ... اي في ضوء الفلسفة المادية صدورا من القاعدة العريضة لا من الانطباع الوجداني الساذج بالنماذج الشعرية والروائية في الادب العالمي..

والوظيفة الثالثة هي: النقد الصارم لنتاج الصف الاول من الشعر والقصة ... النقد الذي يكشف عما في هذا النتاج المجهض من هزال في الشكل وتضخم في جانب من جوانب المضمون .

الى حركة كهذه .. الى صف كهذا .. يقوم بهذه الوظائف الثلاث كان يشتاق واقعنا بعد ان اثبت الصف الاول عجزه واخلاصه ايضا .. **وفعلا ظهرت حركة جديدة قام بها محمود امين العالم وعبد العظيم انيس .. فشكلا ما يمكن ان نسميه بالصف الثاني.. وكانت حركة تكميلية للحركة السابقة** .. فالى اي مدى استجاب الصف الثاني لاحتياجاتنا ؟؟

في هذه المرة كان دعاة التجديد من النقاد بعكس الحركة السابقة التي كان دعاتها من الادباء ...

وتعود ازمة الحرية لترسم حدود هذه الحركة ..

اما عن الوظيفة الاولى : فقد كانت الظروف السياسية تقف حائلا دون التعبير الكامل والمنتظم والامن عن الغايات المنشودة ... وكما لوح طه حسين يوما في وجه الضف الاول ببلاد هم يعرفونها ، لوح العقاد في وجه الصف الثاني بقسم البوليس واصبح السكوت يومها من ذهب ..وظلت الغابات تغطي واقعنا الثقافي والاجهزة تحقن القاريء المصري بالثقافة الموروفينية فلم يتح له ان يطلع على نظرية متكاملة او منهج متكامل في الفكر وفي ظواهر الوجود الطبيعي والاجتماعي وبقي جيلنا في قحط ثقافي مرير وموئس .. وهكذا اهتزت الوظيفة الاولى التي كان على الصف الثاني عبء الاضطلاع بها .. فاهتزت بالتبعية الوظيفة الثانية .. وهي التأسيس للواقعية .. **فبدون نظرية متكاملة وبدون انقلاب في طريقة التفكير يستحيل التأسيس للواقعية ولا يمكن بحال من الاحوال فهم الواقعية كمذهب ادبي وفني في معزل عن قاعدتها الفلسفية العريضة ...**

اجل .. ان ثمة صلة وثيقة بين المعايير النقدية وبين النظرية العامة ..ولكن الصف الثاني بدأ من النهايات... اي من مجرد المعايير النقدية . تماما كما بدأ الصف الاول من النهايات ... اي من النماذج الواقعية في القصة والرواية .

واذا كان الصف الاول قد جاء بشعار « الفن في سبيل الحياة » وتوقف به عند المستوى العاطفي فان الصف الثاني جاء بالفهم الذي يقف وراء الشعار .. جاء بالمعايير النقدية وان ظلت هذه المعايير – من وجهة نظر القاريء المصري – مبتورة لا تستند الى بناء نظري متكامل وواضح. **جاء نقاد الصف الثاني بالمنهج وان ظل معلقا في أذهانهم كمجموعة من الالغاز او كنوع من الامتياز أشبه – لدى القاريء المصري يومها بالطقوس السرية التي يحتكرها الكهنة !!** وكان القاء المعايير النقدية الجديدة الى القاريء معزولة عن البناء الفلسفي المتكامل والشامل سببا فيما اخذ على الصف الثاني من اغراق في الغموض .. ذلك ان القاريء لم يستطع ان يبرر لنفسه هذه المعايير التي القيت اليه بلا مقدمات .. بلا جذور ... **وكان نصيب الصف الثاني من الحساسية الفنية – من ملكة التذوق – اقل بكثير من نصيبه من الفهم .. بعكس الصف الاول .. ومنهج بلا حساسية كحساسية بلا منهج كلاهما يفضي الى مزالق ومطبات !!..** واذا كان الصف الاول قد تمتع بشعبية عريضة فاتجه الى ابعد قاريء .. فان الصف الثاني قد اتجه الى فئة من خاصة المثقفين التي امكنها ان تشارك – من قريب احيانا ومن بعيد في اغلب الاحيان – في الطقوس السرية !!..

وفر وقتك وبالك
واختر هذا الكتاب
من كل قطر شاعر
يغنيك عن العديد من الكتب
فان فيه باقة فاذرة من القصائد
للشعراء المعاصرين من كل قطر عربي
الثمن ٢٠٠ فل
منشورات
مكتبة المعارف في بيروت

ومع ذلك فقد خطا الصف الثاني بالمعركة خطوة كبيرة مشكورة حين انتقل بها من المستوى العاطفي اي الشعار .. الى المستوى الذهني اي المنهج .

ولقد عرفنا ان ازمة الحرية لم تكن العامل الوحيد الذي رسمه حدود الصف الاول . فهل تعتبر ازمة الحرية مسئولة وحدها عن حدود الصف الثاني ؟؟ نسارع فنقول كلا .. اذ لو كان الامر كذلك لكانت قد حدثت اشياء عندما تغيرت الظروف السياسية نسبيا واتيح للصف الثاني قدر كبير من حرية التعبير ..

ولكن شيئا من هذا لم يحدث ... **فعبد العظيم انيس سكت عن النقد الادبي نهائيا ... ومحمود العالم راح يكرر نفسه ويدور حول نفسه دون ان يخطو خطوة الى امام . وظلت المعايير النقدية غير مبررة بالنسبة للقراء وللمبدعين من الشعراء وكتاب القصة فذاعت مفاهيم مغلوطة .. مبتورة ساذجة .. عن الواقعية ..** اذن فقد اشهر الصف الثاني عجزه عن التأسيس للواقعية وهي الوظيفة الثانية التي كان عليه عبء الاضطلاع بها ...

واهتزت نتيجة لذلك الوظيفة الثالثة .. الوظيفة النقدية!

فبدون نظرية واضحة متكاملة لا يمكن ان تتضح قضية الشكل والمضمون ولا يمكن بالتالي كشف عيوب الشكل والمضمون في نتاج الصف الاول .. ولا يمكن ـ كما قلنا ـ ان تكون للمعايير النقدية اية قيمة ـ من وجهة نظر المبدعين والقراء ـ اذا سيقت مبتورة ومعزولة عن مقدماتها النظرية التي تبررها وتوضحها وخاصة اذا كانت هذه المعايير قد انحصرت على يد الصف الثاني في الجانب السياسي للمضمون دون جوانبه الاخرى . ولم تتجاوز الدور الوظيفي للادب او مسئولية الاديب . لقد عني الصف الثاني بتأكيد الدلالة السياسية والاجتماعية للمضمون ووقف عند هذا الحد في النظر وفي التطبيق فلم يتجاوز حدود الصف الاول ولم يطرح قضية تكامل المضمون .. ولكنهم في الواقع لم يقولوا شيئا لانهم وقفوا عند مجرد النداء .. فقصارى ما قالوه في هذا الصدد : « ان العمل الادبي صياغة ومضمون . وان الصياغة عملية نامية في داخل العمل الادبي لابراز المضمون وتشكيله . وان المضمون احداث متطورة كذلك داخل العمل الادبي وان الصياغة والمضمون عمليتان متفاعلتان متداخلتان »(١) ... ولكن كيف ؟؟. هذا ما لم يجيبوا عليه ، اذ ظلت كتاباتهم في هذا المستوى .. مستوى النداءات والتقريرات التي لم تتضح كيفياتها في النظر ولا في التطبيق .

وقرأ الدكتور طه حسين هذه التقريرات غير المبررة فلم يفهم شيئا واعتبرها يونانية فلا تقرأ ..(٢) ترى ماذا فهم الشعراء وكتاب القصة فضلا عن القارىء العادي من هذه الكتابات اليونانية !!..؟ والواقع ان للدكتور طه عذره في الا يفهم ما دام الصف الثاني قد بدأ بالقراء من النهايات غير المبررة وما دام لم يتجاوز نظريا وتطبيقيا مستوى النداء والتقرير . واذا كان الدكتور طه قد فهم ان الصف الثاني يقصر « مضمون الادب على تصوير الوقائع والمواقف الاجتماعية » (٣) .. فله عذره القوي .. بل له كل الحق في ان يفهم هذا .. لان مستوى النداء والتقرير لا يسمح بغير هذا ولا بأقل او باكثر منه. ولا اعتقد ان الشعراء وكتاب القصة والقراء كانوا اكثر قدرة على الفهم من الدكتور طه حسين !!.. وبالطبع كان لهم عذرهم ... **ذلك ان المراجعة للمقالات النظرية (٤) التي كتبها هذا الصف والتي يضمها كتاب ((في الثقافة المصرية)) تؤكد لنا حقيقتين : الاولى هي العناية البالغة بالدلالة السياسية والاجتماعية للمضمون والتركيز الملح عليها .. والثانية ان تناول هذا الصف لقضية الشكل وللعلاقة بينه وبين المضمون ظل تناولا ندائيا تقريريا .. فضلا عن الغموض المرهق الذي انزلق بالقضية ، الى الضبابية (٥) ... ومراجعة المقالات التطبيقية (٦) والمحاولات التطبيقية المبعثرة في مقالات الكتاب تؤكد بالحاح هاتين الحقيقتين**

ولم تستطع تطبيقات الصف الثاني ان تلتقط النماذج الناجحة من زحمة النماذج الفاشلة التي اغرقت واقعنا .. ولم يستطع القراء والمبدعون ان يدركوا اسباب النجاح او الفشل في هذه وتلك .. **ونفذت من غربال الدلالة السياسية والاجتماعية ـ هذا الغربال الواسع الثقوب ـ الاف النماذج السيئة في الشعر والقصة (٧) وجاءت التطبيقات آلية بحيث اثارت من النفور ما اوغر الصدور على الاتجاه المظلوم الذي انتسبت اليه التطبيقات والنماذج.**

وترتب على هذا استمرار نتاج الصف الاول بكل كيفياته .. بكل عيوبه .. فبقيت القصيدة خطبة منظومة وبقيت القصة مقالة منبرية . وحتى النماذج القليلة الناجحة او المبشرة كانت ـ وما تزال ـ تجيء بلا فهم وتتناول بلا فهم ثم لا تلبث ان تضيع في الزحام .. في موكب الدراويش !!

وهكذا دشن الصف الثاني نتاج الصف الاول وعمل على استمراره وحرص على محاكاته .. فاهتزت الوظيفة الثالثة ـ النقدية ـ التي كان على الصف الثاني عبء الاضطلاع بها في واقعنا الثقافي .. ولهذا تميزت كتابات هذا الصف بخصيصتين :

الاولى : هي التضخم في الرؤية السياسية، مما عمل على استمرار الورم في جانب من جوانب المضمون على حساب الجوانب الاخرى ...

والثانية : هي اغفال القيم الفنية مما عمل على استمرار الهزال والتهافت في الشكل وهكذا لم يختلف دور الصف

---

(١) في الثقافة المصرية ـ حصاد المعركة ـ ص ٧٠

(٢) جريدة الجمهورية ـ ٥ـ٣ـ٥٤ « يوناني فلا يقرأ »

(٣) حصاد المعركة ـ ص ٧٢

(٤) في الادب الواقعي ، من اجل ادب واقعي

(٥) الادب بين الصياغة والمضمون ، عبقرية العقاد ، الشعر المصري الحديث

(٦) الهارب من الحياة ، مأساة الزمن عند توفيق الحكيم ، في الرواية الحديثة

(٧) لكاتب هذه السطور نماذج في الشعر من هذا الطراز .

الثاني عن دور الصف الاول في شيء !!..

وظل الخطأ قاعدة .. وظل الانحراف قانونا ... باسم ماذا ؟ باسم الواقعية .. ولماذا؟ لان جيلنا التعس لا تصل بالمعرفة الا عن طريق وسطاء. ويا ويل جيلنا عندما تضيق حدود الوسطاء . ويا ويل الابداع عندنا اذا تجمد الوسطاء.

ولا يفوتنا ان نسجل ان حدود الصفين الاول والثاني كانت تعبيرا عن حدود الحركة التقدمية عندنا في طورين من اطوارها .. فلقد كانت حتى مطلع النصف الثاني من القرن العشرين تحلق في مستوى الانفعال والعاطفة والحماس بغير انضباط وعلى غير اسس من وعي عميق جذري بالواقع المصري ... وجاء الصف الاول اصدق تعبير عن مستوى الحركة التقدمية في ذلك الطور . ثم خطت الحركة خطوة الى الامام ، فانتقلت الى المستوى الذهني ولكنها كانت محصورة في اذهان فئة من خاصة المثقفين ومن اساتذة الجامعة فتعالت على الواقع المصري وانحصرت في حدود ضيقة وان حاولت في تلك الفترة ان تأخذ طريقها الى الانضباط مستلهمة الكتب اكثر مما كانت تستبصر بالواقع .. وجاء الصف الثاني اصدق تعبير عن مستوى الحركة التقدمية في ذلك الطور .

*

ومرت الايام ...

واذا بكتب الفلسفة المادية تباع في المكتبات وفي اكشاك الصحف بل وعلى سور الازبكية .. وباللغات العربية والانجليزية والفرنسية .. فاتصل القاريء المصري لاول مرة بالمعرفة دون وسطاء .. فكفت المعرفة عن ان تكون طقوسا سرية !!

وكان لا بد ان يوضع حد للكهانه !!

وكان لا بد ان تراجع ميزانيتنا النقدية والابداعية للسنوات الست الاخيرة ..

وان يقوم بهذه المراجعات صف ثالث ..

والارض صالحة لهذا الصف ..

فلقد رسخ في الاذهان ان الفن يجب ان يكون في سبيل الحياة .. ولم يعد احد يجادل في ذلك . وحتى الاصوات القليلة التي ما تزال تنادي بعزل الفن عن الحياة.. هذه الاصوات في طريقها اليوم الى الانقراض . وهذا هو الكسب الكبير الذي حققه الصفان الاول والثاني.. ولكن المعركة لم تنته بعد ..

لقد عرفنا من الصف الاول ان الفن يجب ان يكون للحياه.

وعرفنا من الصف الثاني لماذا يجب ان يكون الفن للحياه.

بقي ان نعرف كيف يكون هذا الذي للحياة فنا .

وتلك هي مهمة الصف الثالث !!

وشرط هذا الصف المأمول ان يجمع في وقت واحد بين الحساسيةالفنية التي اتيحت للصفالاول وبين الذهنية التي اتيحت للصف الثاني .. وبتعبير اخر ان يجمع بين التذوق والفهم .. وعلى هذا الصف:

اولا : ان يؤسس للواقعية صدورا من القاعدة النظرية العريضة لا من النهايات .. سواء اكانت النهايات نماذج من الادب الواقعي العالمي او كانت معايير نقدية غير مبررة..

ثانيا : ان يتناول بالنقد الصارم كل النتاج الادبي من القصة والشعر في السنوات الست الاخيرة .. ليكشف عما هناك من امراض في الشكل والمضمون .

ثالثا : ان يراجع كل الكتابات النقدية في تلك السنوات ليكشف عما هناك من مزالق في النظر وفي التطبيق ..

رابعا : ان يعيد الصحة الى الضمون والى الشكل وان يحدث نوعا من التكامل بينهما نظريا وتطبيقيا ..

وليضع هذا الصف في اعتباره انه ليس ثمة فن ماركسي وانما هناك فقط نظرية ماركسية في الفن. **وليس ثمة فن طبقي وانما هناك فقط وظيفة طبقية للفن .. وان الدلالة السياسية والاجتماعية للمضمون ليست غير احدى زوايا المضمون . وان مضمونا بلا شكل كشكل بلا مضمون كلاهما ترفضه الواقعية . وان النداءات والتقريرات غير المبررة لا تفيد القاريء او المبدع شيئا ...**

وليضع في اعتباره اولا وقبل كل شيء .. ان النظرية الماركسية في الفن ليست نظرية كاملة ولا تامة ... وانما هي مقدمات محتاجة الى التنمية والترابط وما زال امامها زمن طويل حتى تستوي بناء كاملا .. **وما زالت هناك مسائل في الفن معلقة لم تجب عليها النظرية الماركسية . وان**

مكتبة انطوان

فرع شارع الامير بشير

تلفون ٢٧٦٨٢ ص.ب ٦٥٦

في طريق الكفاح	رياض طه
العرب والاستعمار	دار مكتبة الحياة
جبران	جميل جبر
في التكوين الشعري	خيري الضامن
ثائر في ديجور	سليم واكيم
الاميركي الهادىء	عادل ابو حمرا
كتاب الشهيد	فيليب الخازن
النموذج في البحث الازلي	انيس الطباع
رأيت	الياس ربابي
حنكشيات	نجيب حنكش
الثورة الجزائرية	احمد الخطيب
علي وحقوق الانسان	جورج جرداق
ليلنا خمر	نبيل خوري
انا احيا	ليلى بعلبكي
فيصل الاول	امين الريحاني
ديوان المتنبي	دار بيروت
تاريخ افتتاح الاندلس	عبدالله طباع
الحارث الاكبر الغساني	دار الاندلس
النعمان الثالث	دار الاندلس

البـــاب مفتـــوح للاجتهـــــاد والاســـــتنباط والتقنين والتقعيد . وان على المبدعين والنقاد جميعـا مسئولية بناء النظرية الماركسية في الفن .. مسئولية تنميتها وتغذيتها وتدعيمها .. مسئولية الاجابة على شتى المسائل المعلقة .. وبذلك يتاح للمبدعين نصيب كبير مـن الحرية في الابداع .. ويتاح للنقاد نصيب كبير من الحرية في النقد .. فلا ينحصر اولئك في حدود ضيقة قاتلة .

ومعنى هذا ان النقد سيتحول على الصف الثالث المنشود الى استنباط القوانين من نتاج المبدعين في ضوء فلسفـة عامة في الفكر وفي الوجود . وذلك بعد ان كان النقـد تطبيقا للمعايير النقدية غير المبررة دون حساب لطبيعـة النماذج ... ومن واجب الصـف الثالث ان يدخل فـي النقد قدرا كبيرا من الفلسفة .

*

ويجيء هذا المقال وصفحة « المساء » الادبية مشغولة بما اصاب حياتنا الثقافية من جمود .. وتحار الصفحة بين نقاد يتساءلون في دهشة واستنكار « اين الانتكاس واين الازمة .. واين الجمود ؟ » .. ورأى قام ادبي يتملكه القلق على مصير ثقافتنا فيصرخ في كل مكان مؤكدا ان هناك ازمة حادة في النقد وفي الابداع ..

فلنثق بالرأي العام لانه دائما اكثر صدقا من النقـاد واكثر حساسية واكثر صراحة في مواجهة الواقع ... خاصة اذا كان النقاد انفسهم هم الذين صنعوا ازمة الثقافة وهم الذين يعيشون عليها . **اوشك ان اقول ان آراء بعض النقاد في حياتنا الادبية نوع من الدفاع عن النفس ومحاولة للتغطية تهدف الى الاحتفاظ بالسيطرة على واقعنا الثقافي اطول مدة ممكنة !!..** فمن واجبنا اذن ان نصغى الى الرأي العام الادبي وان نأخذ باحكامه وان نمضي باحثين عن الاسباب الموضوعية للازمة غير مبالين بعلامات الدهشة المصطنعـة التي ترتسم على اوجه بعض النقاد ... اولئك الذن يتهمون غيرهم بالانعزال وهم اشد الناس اغراقا في الانعزال لانهم لا يلتقون بالرأي العام في المقاهي والندوات والروابـط الادبية والجمعيات ذات النشاط الثقافي والاجتماعـات المنزلية التي يعقدها الادباء الشبان ..

ان الرأي العام الادبي ـ بعكس النقاد ـ لا ينزلق ابـدا الى الاحتراف الذي يزيف الحقائق .. او يتنصل مـن المسئولية .. او يملأ العيون بالتراب !.

وللنقاش الذي يدور على صفحة المساء .. وللقلق الذي يتملك الادباء الشبان دلالة بالغة الاهمية هي ان في واقعنا الان دورا حائرا ما زال يهوم باحثا عن ((الصف الثالث)) الذي يضطلع به .. وانا لنرجو مخلصين الا تطول به الحيرة او يطول التهويم !!..

البقية في العدد القادم — **نجيب سرور**

مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني

بيروت شارع سوريا ص.ب. ٣١٧٦ تلفون ٢٧٩٨٣

سلسلة الجديد في القراءة العربية :
جزءان لمرحلة الروضة ـ خمسة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

سلسلة الجديد في الادب العربي : اربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي العالي (الشهادة التكميلية) جـزءان لمرحلة التعليم الثانوي (البكالورية)

سلسلة دروس الاشياء والعلوم الجديدة :
خمسة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهـادة الابتدائية)

سلسلة التربية الصحية في المدارس :
جزءان لمرحلة التعليم الابتدائي العالي والثانوي

السلسلة القصصية لطلاب الادب : ثلاثة اجزاء يحكى عن العرب والادب القصصي عند العرب

سلسلة القواعد العربية الجديدة :
ثمانية اجزاء لصفي الشهادة الابتدائية والشـهادة التكميلية

سلسلة الجديد في الجغرافية : عشرة اجزاء لصفوف الشهادة الابتدائيـة والتكميلية والبكالوريا

Mon Nouveau livre de Lecture et de Français

جزءان لمرحلة الروضة ـ خمسة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

Mon Nouveau livre de Grammaire

اربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)
جزءان لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

The New Direct English Course

احدث سلسلة لتعليم القراءة الانكليزية ـ جزءان لمرحلة الروضة ـ اربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي

The New Direct English Grammar

احدث سلسلة لتعليم قواعد اللغة الانكليزية في ثلاثة اجزاء

سلسلة الخطوط العربية الجديدة في خمسة اجزاء لتعليـم الخط العربي

La Nouvelle Calligraphie Française

في خمسة اجزاء لتعليم الخط الافرنسي

New Script and Cursive Handwriting :

في خمسة اجزاء لتعليم الخط الانكليزي

الدليل العام لشهادة الدروس الابتدائية ـ حساب ، انشاء ، اشياء ، تاريخ ، جغرافيا ، املاء افرنسي ، املاء انكليزي .